

أرقام بلا عناوين

الشاعرة والأديبة وفاء عبد الرزاق *

(١)

الجُملة العَصِيَّة، تُحَيِّرُنَا دَائِمًا فِي شَكْلِ إِطَارِهَا، إِطَارُ الْاَلَا شَيْءٍ، أَوْ
السَّهْوِ.

مِن هُنَا كَانَتِ الْبِدَايَةُ، حِينَ دَخَلَتِ الْأَشْيَاءُ الْخَفِيَّةَ عَالَمَهَا
الْمَحْتَوَمِ.

أَمَامَ الْمَرَاةِ، تَتَحَوَّلُ إِلَى - هِيَ - الَّتِي تُرِيدُ، بِالْأَحْرَى تُحَاوِلُ، أَنْ
تَرَى مِنْ خِلَالِ فِكْرَتِهَا، كَيْفَ سَتُصْبِحُ كَمَا أَرَادَتْ لِنَفْسِهَا أَنْ تَكُونَ.

زَعَمَتْ، وَيَأْخُذُهَا الزَّعْمُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِتَعْرِفَ، لِمَاذَا كَلَّمَا اسْتَدْرَجَتْهَا
مَرَايَاهَا، يَظْهَرُ لَهَا شَخْصٌ آخَرًا!

* كاتبة قصة قصيرة من بنغال الغربية

ذات ليلةٍ اخترعتُ لها شكل سيجارةٍ غيرٍ موجودةٍ في الأسواق،
بعد كتابتها لقصيدةٍ فاشلةٍ، مزّقت الورقة نصفين؛ نصفٌ أحرقتُهُ
كي لا يعثر عليه الذي سيتحوّل، والنّصف الآخر طوّته، وأولعته،
ثمّ بدأتُ تلتهم دخانه.

تحسّستُ جسدها البض، صمتتُ طويلاً، التهمتُ عشرين سيجارة
ملفوفة على كلماتها، احترق الجبر الأزرق وتحوّل رماداً. اصفرّ
إصبعها، تشفّت بها وحدتها، ثمّ تشفّى بها الوقت.

بصعوبةٍ بالغةٍ تنفّستُ الدخان الأسود النّاجم من الحرق، أدمعتُ
عينها، في محاولتها الهروب من عُرفتها، سمعتُ صوت عزف
قادم من بعيد!

خُيل إليها أنّ الصّوت يتكرّر مُدوّناً بمهارة، دنث أكثر من المرأة،
كانت أصابعُ تعزف في الهواء، الصّوت يعلو، ولا آلة عزف، لكنّه
كان مُدوّناً بمهارة.

لا شيء ستخسره لو وجَّهت للأصابع أسئلة مُستفسرة عن هويتها! ما الذي سيحصل أكثر، لو تعَطَّرت، وتزيَّنت، وتحلَّت بِحليَّها البرونزيَّة التي اشتريتها عَصراً من مُنتصف سوق المدينة.

هي لم تشتري العُقد البرونزي، كما أنَّها لا تُحبُّ هذا اللون، وأغلب حليَّها من الفضة الأصليَّة. ما الذي جعلها تختار طقماً كاملاً من البرونز! العُقد، الأقراط، الأسورة، الخاتم. أصبعها، جيدها، معصمها، لم يكونوا مُهيَّئين للون تکرهه.

كُلَّما شخَّصت عينها بجهة من جهات المِراة، كُلَّما مرَّت الأحلام كئيبة، وقاصرة عن ترجمة نفسه.

تنقَّلت ثانية جهة القلب، كان غريباً، كما لو خُلِق من زُجاج، شعرت لحظتها أوردته بدفء الدَّثار الأزرق، قد يكون بسبب البرد تصرَّفت بفعلٍ غير إراديٍّ لترى جسدها كُله وكأنَّه حقلٌ أزرق.

لم يَكُن مُعتلاً، فصفة الزُّرقة للبدن المُعتلِّ، بدا منبوزاً عنها وهو يُنصت للموسيقى.

إنَّما أثناء العزف تحلَّتْ به، ذلك العُقد البرونزيّ، وتعطَّرت،
استغربتُ ماركة العطر، (نينا رج)، (غريب)، قالتُ ذلك، ورشته
تحت أذنيها وعلى عنقها ويدها اليمنى. ما الذي حوّلها إلى
(شولاء)!

ابتسمتُ باستغرابٍ لساعةٍ يدها، في المعصم الأيمن، غريبٌ جدًّا
أمُّها الليلة! في خضمِّ استغرابها ورثابة العزف، تجسّدتُ ربابة
في المرآة، شيئاً فشيئاً تحوّلتُ إلى آلة عود، تحوّلتُ إلى كيتار، ثمَّ
تلاشتِ الأشكال، والصّوت، والأصابع، لكنّ بقيَ إصبعٌ واحدٌ مُشيراً
إلى إصبعها الموجهِ إلى ذات الإصبع في المرآة.

(٢)

* لم يدزْ بخُلديها يوماً، أنْ تتعرّى الألوان، فكيفَ لجَمادٍ أنْ يتَّخذَ
شكلاً بإرادته، أو من دون إرادته!

هل يستطيع اللون مواجهة هَيأته الأخرى؟

لم يتغير الزمن، الزمن لم يتحول إلى إنسانٍ مثلاً، كما فعل اللون الأبيض، والأحمر، نَقَتْهُمَا إلى صورةٍ تخيلتها للوحيتها الجديدة.

تمدّد اللون الأحمر وأخذ أكبر مساحةٍ من قماشٍ (الكنفز) لم تُصَفِ إليه أو تخلطه بلونٍ آخر، خاصة الأبيض. فقد فضّلت بياض القماش.

حرّكته في كلّ الجهات، بدا معجوناً بزيّ، أو (قار) لسماكته، فكُلّما أوغلت في التحريك ليأخذ شكلاً تنطلق منه، كلّما تماسك مع بعضه والتفّ حول نفسه.

أشرفت النافذة لعلّ الشمس تجعلّ اللون يسيح، فهي لا تريد تدخل الفرشاة، بل بالتحريك الكليّ والدوران اللوني لتأخذ رسمتها الشكل الذي تريد.

مرّ الوقتُ أكثرَ بُطناً من ساعةٍ عاطلةٍ، هو ليس بوقتٍ، أو زمنٍ،
أو شكلٍ، هو زهولُ الدورانِ.

في الليلِ، تأملتُ لوحتها مَلِيّاً. كيفَ سيكونُ لها ابناً، أو بنتاً من
لونينِ، كما أنّها غيرُ مُتزوِّجةٍ!

افترضتُ أنّها تزوّجتُ، بعدَ اختيارٍ وتأنٍ، هل يُمكنُ ألاّ تتعرّضَ
حياتها لخيانةٍ زوجيّةٍ؟

تساءلتُ فقط، والغتِ الفكرةَ، حينَ غيّرتُ اتّجاهَ دَورانِ اللونِ
الأحمرِ.

عشقتُ، استعذبتُ العِشْقَ، استشرى مرضٌ في اللوحةِ، ودارَ هو
الأخْرُ حولَ اللونِ الأحمرِ. فكسأً مُحيطَ الدائرةِ بعضَ الصُّفرةِ
الخفيفةِ، من جانبٍ، بينما باقيَ المُحيطِ استفحلتُ عليه صُفرةٌ
داكنةٌ.

قَرَّرَتِ السَّفَرَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ لِأَسْبُوعٍ، لَعَلَّ الضِّيَاعَ يَتَبَدَّدُ، وَلِحُسْنِ حَظِّهَا، أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ بَغْزَارَةً، مِمَّا تَعَدَّرَ عَلَيْهَا الْخُرُوجُ بِهَذِهِ الْكثَافَةِ مِنَ الْمَطْرِ. كَانَ الْوَقْتُ لَيْلًا، وَالرِّيحُ تَشْتَدُّ وَتَتَأَمَّرُ مَعَ الْوَقْتِ.

لَيْسَ تَأَمَّرًا، أَوْ قَدْ يَكُونُ تَأَمَّرًا مِنْ قِبَلِ الرِّيحِ، لِاسْتِكْمَالِ اللَّوْحَةِ الْمَجْهُولَةِ.

هَلْ سَيَتَحَمَلُ قُمَاشُ (الْكَنْفِزِ) التَّصَدِّيَ لِلرِّيحِ؟

هَلْ سَيُتَوَرَّضُ ضِدَّ التَّأَمَّرِ عَلَيْهِ؟

هَلْ سَيَبْقَى أَمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى لَوْنٍ آخَرَ، ذَلِكَ الْأَحْمَرُ اللَّعِينُ؟

إِلَى أَيْنَ هِيَ ذَاهِبَةٌ، وَقَتْمًا قَرَّرَتِ الْخُرُوجَ مِنَ الْبَيْتِ وَالسَّفَرَ لِمُدَّةِ أَسْبُوعٍ؟

اِفْتَرَضْتُ كَمَا لَوْ أَنَّ لَهَا وَجْهَةً مُحَدَّدَةً تَنْوِي السَّفَرَ إِلَيْهَا فِعْلًا، بَعْدَمَا يعلو السَّمَاءَ الصَّحُوفُ.

شمالاً، جنوباً، شرقاً، غرباً. المُسافِرُونَ فِي القِطارِ معها، كانوا
عَرَباً، كُرْداً، غَرِيبِينَ، عَجَمًا، باكِستانيين، هُنُودًا، شُقْرًا، سُمْرًا، بِيضًا،
سُودًا، يَخْتَلِفُونَ، لَكِنَّ تَجْمَعَهُمْ فِي النَّشَابَةِ ثِيَابُهُمُ الحَمْرَاءُ.

ظَنَّتْ لِلوَهلةِ الأولى أَنَّ كُلَّ هؤُلاءِ ذُرَيْتِها، عِلْمًا بِأَنَّ لا أَحَدًا
يُشَبِّهُها إِطلاقًا، كما أَنَّها غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ، فَمِنْ أَيْنَ تُصَبِّحُ لها هذِهِ
الذَّرِيَّةُ الكُونِيَّةُ؟

لأَحْضَتْ أَنَّ لا أَحلامَ فَرِحَ على وَجوهِ الجَميعِ، ولا بِأَسِّ فِي
عَيونِهِمُ المُتَوَجِّدَةِ مع الخوفِ. اسْتَفزَّها شَيءٌ مُخِيفٌ على
الجِباةِ كُلِّها. دائِرَةٌ مَحْفُورَةٌ عَميقًا اصْطَبَعَتْ باللونِ الأَحْمَرِ، تُشَبِّهُ
تِلْكَ الدَّائِرَةَ التي يَصْبِغُها المُتَظاهِرُونَ بالعبادةِ وكثرةِ الصَّلَاةِ.

وَقْتَ اسْتِمْرارِ العاصِفَةِ وتأمُرِ الرِّيحِ، ارتأَتِ اسْتِطْلاعَ الجِوِّ، فِي
مُحاوِلَةٍ مِنها لِمَوارِبَةٍ بابِ الدَّارِ. هَجَمَتْ عاصِفَةُ سُوداءِ، تَفَتَّتْ
الرَّيْتُ، تَفَتَّتْ مُصارِعًا مُكوَّنُهُ المُتَماسِكُ، تَفَتَّتْ هارِبًا مِنْ مُحيطِهِ
المُرْصَعِ بِبَقَعِ صَفراءِ.. مُتَحَوِّلاً إِلى بُقْعَةٍ سُوداءِ داكِنةً.

فِي الصَّبَاحِ، كَانَ الزَّمَنُ ذَاتَهُ، بِشَكْلِهِ المَعهودِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ، لَمْ يَتَحَوَّلْ
مَا تَحَوَّلَ هُوَ اللَوْنُ. فِي البَرِّ، فِي البَحْرِ، فِي الأَبْنِيَةِ العَالِيَةِ وَالدُّورِ
البَّسِيطَةِ وَالقُصُورِ.

بُخِطَى مُتتَاقِلَةً اقْتَرَبَتْ مِنَ السَّرِيرِ. مَخدَعُهَا، المِلاءَاتُ، الأَغْطِيَةُ،
قِنْدِيلُ الصَّوِّءِ، مُتتَاقِلُونَ مِثْلَهَا، أوعَزَتْ لِنَفْسِهَا أَنَّ سَبَبَ التَّنَاقُلِ
هَذَا اللَوْنُ القَابِلُ لِلتَّحَوُّلِ، وَالَّذِي أَصْبَحَ بِإِرَادَتِهِ بُقْعَةً دَاكِنَةً.

(٣)

تُرِيدُ الخُرُوجَ إِلَى عَالِمِ الأَرْضِ الأَخْضَرِ، تُرِيدُ هِيَ ذَلِكَ، وَيُغَالِطُهَا
شَعُورٌ بِأَنَّهَا تُشْبِهُ نَحْلَةَ بَرِّيَّةٍ. ظُهْرًا صَارَتِ الفِكرَةُ قَيْدَ التَّنْفِيزِ.
قَرَأَتْ كَثِيرًا عَنِ الزَّهْرِ الدَّامِعِ، وَكَانَتْ تَتَصَوَّرُ أَنَّ نَمَّةَ بُسْتَانِيٍّ أَوْ
مُزَارِعِ جَبَانٍ ابْتَكَرَ هَذَا الأَسْمَ.

زَمَتْ شَعْرَهَا إِلَى الْخَلْفِ بِشَرِيطِ أَسْوَدٍ، وَخَرَجَتْ حَامِلَةً سَلَّةَ
الْحَيَاةِ صَوَّبَ حَدِيقَةَ الْمَدِينَةِ. الْحَدِيقَةُ الْعَامَّةُ مِلْكٌ لِلْجَمِيعِ، هَكَذَا
الْوَطَنُ، بِكُلِّ مُسْتَلْزِمَاتِ الْحَيَاةِ الْجَمَالِيَّةِ، مِلْكٌ لِلْجَمِيعِ.

عِلْمًا أَنَّ دَرَجَةَ الْحَرَارَةِ عَانَقَتْ الشَّمْسَ الَّتِي ابْتَلَعَ فَمُهَا النَّدَى
الْمُسْتَعْذِبَ لَوْنِ الْحَشَائِشِ.

الظَّهْرُ، تَعَرَّفَتْ عَلَى الْأَمْكِنَةِ، الزَّوَايَا، جِهَةَ الصُّخُورِ بِلَوْنِهَا الطُّوبِيِّ،
أَفْوَاهُ عَطَشَى، لَثْمَةٌ وَرْدِيَّةٌ أَوْ شَجْرِيَّةٌ.

افْتَرَشَتْ مِندِيلًا أَصْفَرَ، بَاحِثَةً عَنِ الرُّوحِ الْمَفْقُودَةِ فِي الْحَدِيقَةِ. إِذْ
لَيْسَ هُنَاكَ نَبْتَةٌ لَزَهْرَةٍ، أَوْ شَجْرَةٌ مَثْمَرَةٌ، كَانَتْ الْحَشَائِشُ بِمَثَابَةِ
فُضَاءٍ كَلْبِيٍّ اسْتَأْنَسَ فُسْتَانَهَا الْحَرِيرِيَّ الْمُشَجَّرَ.

اعْتَادَتْ فِي خُلُوتِهَا مَعَ الدَّاتِ التَّحَدُّثِ إِلَى الطَّبِيعَةِ كَصَدِيقٍ
مُقَرَّبٍ لِرُوحِهَا، عَادَةً اِكْتَسَبَتْهَا مِنْ أُمِّهَا الشَّاعِرَةِ، عَاشِقَةِ النَّزْهِ
وَالْأَشْجَارِ وَالْحَدَائِقِ.

أنشدت أغنية ألفت كلماتها ولحنها، لتجعل الحجر الصلد ينطق
بلغة أخرى غير الصمت. الحجر رصفه مهندس بارع على شكل
مثلثات فاصلة بين الحشيش والجدار، تاركاً مساحة بعرض نصف
متر محروثة غنية بالسماد الكيميائي والعضوي.

ليس المطر خبيثاً، ولا يد المزارع في شحة الماء، لتنت زهور
بالوان مثيرة لغنج الرحيق. فيما هي تعد لاستخراج ما جلبته
معها من غذاء بسيط يسد الرمق، وزجاجة (كوكا كولا) سمعت
صوتاً متحسراً صادراً من إحدى الجهات الأربع التي تحد سور
الحديقة.

أمعنت النظر بحب الاستطلاع، وإذا بجسد امرأة عجوز منحنيًا
على نفسه، جاهداً بعموده الفقري لمحاولة الانتصاب، إنما بدت
المحاولات فاشلة، علماً أنها استمرت في الغناء تشجيعاً للعجوز
دون فائدة. بقيت منحنية يخرقها الهواء فتميل حيث هو وتتوء
بثقل الزمن عليها.

جسدٌ آخِرُ لوردةٍ مُسجَى على الأرضِ قُربَ العجوزِ، كان لامرأةٍ
شارفتُ الأربعين. آخرُ ثمَّ أخرى لفتياتٍ لَمَّا تزلُّ ملامِحُ الصِّبا
مرسومة في مُحياهنَّ وأجسادهنَّ اللدنة.

أهذه حديقة النساء التي قرأت عنها في كُتب الخيال؟

لم تقرأ في (ألف ليلة وليلة) ذلك، قرأته في كتابٍ مُخيلتها، لا أحد
يعرفُ به، إنَّه ملكها الخاص.

عبت الروائح العطرة فانتشت طرباً تاركَةً الغداء يلوغهُ الذباب.

بين الزهورِ الصبية زهورٌ بلا أوراقٍ، مُجرَّدُ أغصانٍ خاوية.. أخرى
بأوراقٍ وأغصانٍ نحيلةٍ، زهورٌ دامعةٌ، ذات لونٍ زهريٍّ كما امرأةٍ
أدمعت عينيها، "عين الزهر" كان بنفسجياً داكناً.

كانت لكلِّ نبتةٍ حكايةٍ، ولكلِّ حكايةٍ دموعٌ، وكلُّ دَمعةٍ تتكلس
وتتجَرَّ حافرةً أخايدٍ عميقةً على البتلات.

هل أخطأت هذه الزهور لتدفع ثمن أخطائها بالدموع؟ جاء
الجواب عقيماً، إذ ليس ثمّة شيطان يُوسوس لزهرة.

إحداهنّ كانت نحيلة، شبّهتها بامرأةٍ تُقاومُ المرض، بكبرياءٍ الأُنثى
ذات الألوان المُزهرة ابتسامتها بوجوه الناظرين. تلسعها
النحلّات كلّ حين، مُتلذّذة بالرحيق.

أشجار بلا جذور، كأنّها نبتت في الهواء، بدت الشجرة المُقسومة
لِصَفَيْن: نصفها الأيمن ذابل، الأيسر مُتخشب، تُشبهه شجرة
عقيمة.

الخريف يأتي بلحظات، لا يمكن للطبيعة على هذا الاختراق غير
المُبرّر!

لا أحد يعرف غناء الأشجار مثلها، لا شجر يرى النور إلا على صوتها
هي! اللحظة الصامته بلا لون الآن ولا طعم.

صمّت أصوات الزهور والأشجار، أين عناقيد الورد الدامع؟ أين
زهرة الكاميليا، زهور الكاردينيا... مدّت يدها لتلمس الأرض،
تحسّست بقايا النساء المعطّرات، مجرّد قش، تحوّل إلى رماد.

بألم مؤسفٍ جمعت محتوياتها هامة بالرجوع إلى الدار، قبل
خروجها من حديقة المدينة، شاهدت تحوّلًا غريبًا، قرب موضع
كلّ شجرة وزهرة رجلٍ عارٍ، بضلعٍ مجوّفٍ.

زهرة طفلةٍ لوحت لها من بعيدٍ، وغابت.

التفتت لِمكان التلويح، لم تجذ له أثرًا.

الحشائش لم تعدّ قادرةً على مقاومة التحوّل، فانسجمت مع
المحيط حولها، واستأسدت عليها الصخور... عندما كَبُرَ حجمها،
تصخّرت الأرض. الصّخر سيّد المكان، هو الوحيد المتفرّج على
حالة التّصخّر الذي أخذ شكلَ غولٍ.

(٤)

الأمكنة غاصبة، محتويات المنزل أكثر غضباً من أمكنتها، القدر
المحتوم لا يخلق ضجراً، ولا يحول الهدوء إلى جحيم.

من يا ترى يستمع لشكواها! حتى هي ضجرة، التكرار ذاته،
سقوط جسدها المنهك على الوسائد والسري، حقيبتها المرمية
على الأريكة، كتبتها الثقيلة الوزن ملت هي الأخرى من تصفح
أصابعها وتحديد بعض الملاحظات بالقلم العريض.

المشاجب اغتنمت الفرصة، ورمت قمصانها أرضاً.

الملاعق والصحون، لا ترغب الخضوع لوحشية شكواها الرتيبة
أثناء تناولها الطعام. وخزنتها ذات يوم متعمدة، بينما هي

أوعزت ذلك لسرحانها. كم تذكّرت أمها المَحذرة لها عن عادةٍ لا تليقُ بامرأةٍ تحبُّ الحياة.

مع هذا تبتسمُ وكأنَّ والدتها جالسةٌ قبالتها وتهزُّ يدها استنكاراً. لا شيءٌ يبسط حِمائتهُ على أدقِّ الأشياءِ في المنزل، باتتْ نهَبَ غيومِ اللحظاتِ الماكرة.

غالباً ما تُطعمُ قُطّتها الأسماكَ الزائدة، وتتركُ جناحي عُصفورِ الكناري حافلة فرحة وهي تلتقطُ بذورَ اللبِّ المُقشَّر، بدا الطائرُ كمسافرٍ على أجنحةِ الجمال.

طريقُ الابتعادِ عن الوحشةِ طويلة وقاحلة... والتخلُّصُ منها أو الوصولُ إليها من المُستحيلات.

مناشِفُ الحمّامِ والفوطِ، بللها التّكرارُ وأعادها لوهميّةِ الوَضعِ السابقِ، الأمشاطُ، قناني الشّامبو، الصّابونُ المُعطرُ، كلُّهم في حالةِ اشْمِزازٍ دائمٍ.

كلاهما مُخْطِئٌ، زُجَاجَاتُ العِطْرِ، منفضةُ السَّجَائِرِ، أحياناً تُعَاقِبُ
أصابعها على تلوُّثها بالدُّخَانِ، تُفْتِشُ عن كلمةٍ غيرِ (التَّدخينِ)
لتحكي للمنفضةِ مُعَانَاتِهَا اليَوْمِيَّةَ، معِ الوظيفَةِ، ومديرِ العملِ
المُسْتَبَدِّ. نصفُ الوقتِ لئيمٍ، لا تتقاصى عليه مُرْتَباً كاملاً، كُلُّ
الوقتِ الأُمِّ من نصفِهِ، الزَّاتِبُ لا يكفي سدَّ ديونها الشَّهْرِيَّةَ.

الدِّكْرِيَاتِ، ويلها من ذكرياتِ، خَبَّأتْ بداياتها في مَحْفَظَةِ قَدِيمَةٍ،
وتركتِ الحديثَةَ في حَقِيبةٍ اشترتها قبلَ شهرٍ.

كلتاها مُخْطِئَةٌ، القديمةُ بِخِصَامِهَا الدَّائِمِ معِ الجديدةِ،
والجديدةُ بِتَحْقِيرِهَا للأقدمِ.

في كُلِّ الأحوالِ هما لها، بعضٌ منها، كُلُّها... مَنْ تخونُ الأخرى؟
هي، أمِ الدِّكْرِيَاتِ!

خَزَانَتُهَا مليئةٌ بِذِكْرِيَاتِ مَرَّ عليها العُمُرُ وغادَرَ، إِنَّمَا تركَ بصماتِ
على الكثيرِ مِنَ القُمصانِ والفساتينِ. لمساتُ الأصابعِ ساعةَ لقاءِ
عاطفيٍّ، عطرُ رجلٍ، كَذِبٌ وِنِفاقٌ، مصلحةٌ وتأمُرُ.

مليئة خزانتها البيضاء، كُلُّ أثاثِ غُرْفَةِ نَوْمِها أبيضٌ... إِنَّهُ تعويضٌ
عن لَوْنِ الحِياةِ؛ الرُّصاصيِّ والأَسودِ اللذانِ عاشرتَهُما سِنيناً.
رُبَّما لا يَمكُنُ لامرأةٍ مُعاشرةَ لَوْنِ التَّشاؤمِ، هي كَمَنْ يَدفِنُ
قَمراً، ويرمي أساورَ أُنثاهُ في حُفْرِ الحِياةِ!
بعضُ الأسرارِ حزينَةٌ، الذِّكْرَى، والذِّكْرَى كالمَشْيِ في جنازةٍ،
والبعضُ الآخرُ مُستهلَكٌ مثلَ ثيابٍ قديمةٍ.
الأحلامُ تأتي فُراداً، أو جماعاتٍ، تتسلَّلُ مِنَ النَّافِذَةِ، يثيرُ الهِواءَ
فوضى عبثيةً، فتضطرُّ إلى غلقِها. تنهضُ، تعبتُ بِشَعْرِها، مثلَ
طِفلةٍ تلعبُ بِثُرَابِ نَدْيٍ، تشعرُ ببرودةِ اللحظةِ ما زالَ شَعْرُها
مبلولاً إثرَ حَمَامٍ ساخنٍ.
في تلكَ الليلةِ، كانتِ الثَّوابِ رطبةٌ هي الأخرى، أرباعُ الثَّوابِ
مهيأةٌ للرحيلِ كما طفولتها وصباها، أرضيةُ الغُرْفَةِ باردةٌ، والنَّومُ
العميقُ يُطفئُ ظلَّ السِّتارةِ.

شخص ما هزّ كَتِفَهَا، تجاهلته، عاودَ الكَرَّةَ، تجاهلته، عادَ دافئاً،
وبِقوّةٍ اخترقَ عينيها.

الشَّمْسُ لها أجنحةٌ، تَفَرِّدُها فتتجسّدُ يداً حارقةً.

عُرِيّ الغُرفةِ تَحَوَّلَ إلى تهويماتٍ عاريةٍ، ومقلوبةٍ. تأخرتَ عيناها
في مَعْرِفَةِ هويّتها الجديدة.

التَّحَوُّلُ، التَّحَوُّلُ اعتزى نُقوشَ أَطْرَ لוחاتٍ صغيرةٍ بورودٍ مُلَوّنةٍ.

كُلُّ شَيْءٍ مُعَلَّقٌ فِي الهواءِ، حتّى سلسلتها الذَّهَبيةِ، كُلُّ شَيْءٍ،
بدءاً من نعلها إلى السَّجادةِ.

تدلّت الوسائدُ والملاءاتُ الزَّرْقَاءُ، البابُ، بلا مقبضٍ، يُشيرُ إلى
الفراغِ، وَعَتَبَةُ الغُرفةِ صارتُ جبهةً للسَّقْفِ.

الأرضُ سَقْفٌ آخِرٌ، وهي عائمةٌ بينَ سقفينِ، وفراغينِ.

أيُّ سَقْفٍ لها الآن؟ أيّةُ أرضٍ؟ وأيّةُ أنثى ستكونُ؟

